حرف الجيم

حملة عنتريّة

قال عند خروجه إلى قتال العجم:

[الطويل]

أشاقَكَ مِنْ عَبْلَ الخَيالُ المُبهَّجُ
فَقَلْبُكَ مِنْهُ لاعِجٌ يَتَوَهّجُ(١)
فَقَدْتَ التي بانَتْ فَبِتّ مُعَذَّباً
وَتلكَ احْتَوَاها عنكَ للبينِ هَوْدَجُ(٢)
كَأنّ فُؤادي يَوْمَ قُمْتُ مُوَدِّعاً
عُبَيْلَةَ مِني هَارِبٌ يَتَمَعَّجُ(٣)

(١)، (٢) المبهَّج: الجميل. لاعج: مشتعل، ملتهب. أثار كوامن الشاعر أنه رأى في المنام خيال عبلة، فإذا بقلبه تتآكله نيران الحسرة لبعده عن محبوبته التي تبادله بإخلاصه وحبه لها صدّاً عنيفاً. وقد رحلت عن القبيلة وتركته يعاني ألم الفراق ووحشة البعد، فقلبه معلّق بهودج حمل فيه كلّ أمل بحبّ سعيد.

(٣) يتمعّج: ينعصر ألماً. إنها ذكرى أليمة ساعة الوداع، وليس بيد الشاعر حيلة؛ فهو لا يستطيع منع ما يحدث؛ لذا فالقلب يعصره الألم، وتتسارع دقّاته مضطربة.

خَـلـيـلَـيّ! مـا أنْـسَـاكُـمَـا بَـلْ فِـداكـمـا
أبـي وَأبُـوهَـا، أيـنَ أيـنَ الـمُـعَـرَّجُ[١]
ألِـمّـا بـمَـاءِ الـدُّحْـرُضَـيـنِ فَـكَـلِّـمَـا
دِيَـارَ الـتـي فـي حُـبّـهَـا بِـتُّ ألْـهَـجُ[٢]
دِيَـارٌ لِـذَاتِ الـخِـدْرِ عَـبْـلَـةَ أصْـبـحـتْ
بـهـا الأرْبَـعُ الـهـوجُ الـعـواصِـفُ تُـرْهِـجُ[٣]
ألا هَـلْ تُـرَى إنْ شَـطّ عـنـي مَـزَارُهـا
وَأزْعـجـهـا عـن أهـلـهـا الآنَ مُـزْعِـجُ[٤]
فَـهَـلْ تُـبْـلِـغَـنِّـي دَارَهَـا شَـدَنِـيّـةٌ،
هَـمَـلّـعَـةٌ، بَـيـنَ الـقِـفَـارِ تُـهَـمْـلِـجُ[٥]

(١) يخاطب الشاعر صاحبيه على طريقة الشعراء في عصره سائلاً عن وُجهة عبلة علّهما يُخبرانه، وفي حال إجابتهما بما يُرضيه فإنه لن ينسى ما قدماه له من خدمة ويد طولى، وهو يفديهما بأبيه وأبي عبلة، وهما بلا ريب مصدر تعاسته.

(٢) ألما: عرّجا على. الدحرضين: موضعان، أحدهما دحرض والآخر وسيع. ألهج: أنطق. يطلب الشاعر من صاحبيه أن ينزلا بماء الدحرضين فيراده وينعما ببارد مائهما ويُخبرا تلك الديار بما آلت إليه حال الشاعر فهو لا يتوانى يذكر عبلة في كلّ وقت.

(٣) الخدر: ستر مخدع الجارية. الهوج، واحدها هوجاء: الرياح العاصفة. ترهج: تثير الرهج، وهو الغبار، تلك هي ديار قفراء هجرها ساكنوها، ولم تعد عبلة تشغل مخدعها، لا همّ لها سوى النوم وإضاعة الوقت؛ فباتت تلك الديار ملعباً للرياح الهوجاء تثير الأتربة والغبار في النواحي الأربع.

(٤)، (٥) شطّ: بعُد. مزارها: منزلها. يتساءل الشاعر مستعلماً، رغم ما يفصله عن عبلة من بُعد مكاني فلم يعد باستطاعته زيارتها، فضلاً عن علاقتها به =

تُــرِيــكَ إذا وَلّــتْ سَــنَــامــاً وَكــاهِــلاً؛
وَإنْ أقــبــلــتْ صَــدراً لــهــا يَــتَــرَجْــرَجُ[١]
عُــبَــيْــلَــةُ! هــذا دُرُّ نَــظْــمِ نَــظَــمْــتُــهُ
وَأنْــتِ لَــهُ سِــلْــكٌ وَحُــسْــنٌ وَمــبــهَــجُ[٢]
وَقَــدْ سِــرْتُ يــا بــنــتَ الــكــرَامِ مُــبــادِراً
وَتــحــتــيَ مَــهْــرِيٌّ مِــنَ الإبْــلِ أهْــوَجُ[٣]
بــأرْضٍ تــرَدّى الــمَــاءُ مِــنْ هَــضَــبــاتِــهــا
فــأصْــبَــحَ فــيــهَــا نَــبْــتُــهــا يَــتَــوَهّــجُ[٤]
وَأوْرَقَ فــيــهــا الآسُ وَالــضّــالُ وَالــغَــضَــا
وَنَــبْــقٌ وَنِــسْــرِيــنٌ وَوَرْدٌ وَعَــوْسَــجُ[٥]

= المقطوعة بسبب القيم الاجتماعية الفاسدة والنفور الذي تمارسه معه، فهل باستطاعته زيارتها ولديه ناقة تسابق الرياح هملّعة خفيفة الحركة تقطع القفار وتسير متبخترة.

(١) يصف الشاعر تلك الناقة بضخامتها وقوّتها في سيرها ذهاباً وإياباً؛ فسنامها عظيم وكاهلها مكتنز، وصدرها يهتزّ لأدنى حركة ولرشاقتها.

(٢) يخاطب الشاعر محبوبته، مظهراً لها محبة بنداء التصغير، عُبيلة، ولقد زين صدرها بعقد صاغه لؤلؤاً من شعره، فكانت لهذا العقد سلكاً وكان العقد لها حسناً وجمالاً، فإذا بكلّ مظاهر الجمال تجتمع لدى عبلة.

(٣)، (٤) يخبر الشاعر عبلة متودّداً لها أنه عمل على زيارة ديارها القفراء مستعيناً بناقة مَهْريّة هوجاء سريعة مرّ بمنحدر من الأرض حيث تنسكب المياه من الهضاب المرتفعة متسابقة إلى سفوح ذلك المنحدر الذي بدا فيه النبت يشعّ خضرة ونماءً.

(٥) الآس: ضرب من الشجر طيب الأريج. الضال: ضرب من الشجر يعلو قدر ذراع، زهره مدوّر صغير ذو لون أصفر ذكي الرائحة. الغض: شجر صلب. النسرين: ضرب من الزهر طيب الرائحة. العوسج: ضرب من =

لَـئِـنْ أضْـحَـتِ الأطْـلالُ مـنـهـا خَـوَالـيـاً
كـأنْ لـم يـكـنْ فـيـهـا مـن الـعـيـش مُـبْـهِـجُ[١]
فَـيـا طـالـمـا مَـازَحْـتُ فـيـهـا عُـبَـيْـلَـةً،
وَمَـازَحَـنـي فـيـهـا الـغَـزَالُ الـمُـغَـنَّـجُ[٢]
أغَـنُّ مَـلـيـحُ الـدَّلِّ أحْـوَرُ أكْـحَـلٌ
أزَجُّ نَـقـيُّ الـخَـدّ أبـلَـجُ أدْعَـجُ[٣]
لَـهُ حـاجِـبٌ كـالـنّـونِ فَـوْقَ جُـفـونـهِ
وَثَـغْـرٌ كَـزَهْـرِ الأُقْـحُـوَانِ مُـفَـلَّـجُ[٤]

= شجر شوكي ينبت في البراري. يرسم عنترة بريشة فنان رسّام صورة لنضرة الحياة في لوحة ربيعية، فيشركنا الرؤية والرائحة، فتتعانق الألوان ويختلط الطيب، فتبدو الطبيعة في أجمل صورة.

(١) لقد استحالت صورة الحياة الزاخمة بالحركة إلى بقايا ورموز حزينة كئيبة، كأنها لم تغن بالأمس ولم تعرف الحياة وبهجتها، ممّا يترك في النفس أسىً وحزناً.

(٢) لقد مرّت ذكريات حلوة تتابعت صورها في ذاكرة الشاعر؛ فهو كثيراً ما مازح عُبيلة وبادلته المزاح الرقيق، فبدت على حقيقتها حقيقة المرأة المغناج في رقّتها ورقّة مشاعرها.

(٣) يصف الشاعر المثال الجمالي المتفوّق في مغالاة محبّبة إلى النفوس؛ فعبلة أغن كغزالة في رقتها وأناقتها، جميلة الصوت رخيمته، جميلة في دلالها ورقّتها، حوراء العينين عيناها كبيرتان، يشتدّ سوادهما، ويشتدّ بياضهما أيضاً، ويسترهما حاجبان أكحلان دقيقان، تزينان خدين تشعّ فيهما حيوية الشباب وحمرة الحياء.

(٤) ويكلل جبهتها حاجبان تقوّسا بانسجام، رسمهما الخالق العظيم بيد صناع ماهرة، يعلوان جفوناً ناعسة، وينتظم ذلك الرأس ثغراً لونه لون الأقحوان الأحمر الطبيعي، يفترّ على أسنان لؤلؤية بيضاء مفلّجة.

وَرِدْفٌ لـه ثِـقْـلٌ وَخَـصـرٌ مُـهَـفْـهَـفٌ
وَخَـدٌّ بـهِ وَرْدٌ وَسـاقٌ خَـدَلَّـجُ (١)

وَبَـطْـنٌ كَـطَـيّ الـسّـابـرِيّـةِ لَـيِّـنٌ،
أَقَـبُّ لَـطـيـفٌ ضَـامـرُ الـكـشـحِ مُـدْمَـجُ (٢)

لـهَـوْتُ بـهـا وَالـلّـيْـلُ أَرْخَـى سُـدُولَـهُ
إِلـى أَن بَـدا ضَـوْءُ الـصّـبـاحِ الـمُـبَـلَّـجُ (٣)

أُرَاعـي نُـجُـومَ الـلّـيْـلِ، وَهـيَ كـأَنّـهـا
قَـوَارِيـرُ فـيـهـا زِئْـبَـقٌ يَـتَـرَجْـرَجُ (٤)

وَتَـحْـتـيَ مـنـهـا سَـاعِـدٌ فـيـه دُمْـلُـجُ
مُـضـيءٌ وَفَـوْقـي آخَـرٌ فـيـه دُمْـلُـجُ (٥)

---

(١)، (٢) ينقل الشاعر ريشته بعدما أشبع الرأس والوجه من جميل وصفه إلى شكل الجسد؛ إنها ذات ردفين اكتملت فيهما الصنعة، وخصرها دقيق، وخدّاها تورّدا نضرة وشباباً، وساقاها ممتلئتان متناسقتان ولها بطن ليّن رقيق ضامر وخاصرتان ملساوان لا استرخاء فيهما ولا تهدّل.

(٣)، (٤) يذكر الشاعر أنها كانت ألهبته لا تستعصي عليه يفعل بها ما شاء وهو مساهر نجوم الليل، أما حبيبته فكانت زئبقية الحركة تتحرّك بهدوء، كأنها قارورة حريصة على ما بها، بينما كان الشاعر يُراعي النجوم حتى لاحت تباشير فجر جديد.

(٥) الدُّمْلج: حلي شبيه بالسوار تضعه المرأة في عضدها. يصف الشاعر احتضان حبيبته له، فساعدها المحلّى بدُمْلج تحته، وساعدها الأخرى فوقه فيها دُملج أيضاً.

وَإِخْـوَانِ صِـدقٍ صَـادِقِـيـنَ صَـحِـبْـتـهـمْ
عـلـى غـارَةٍ مـن مـثـلـهـا الـخـيـلُ تُـسْـرَجُ[١]
تَـطـوفُ عَـلَـيْـهـم خَـنـدَرِيـسٌ، مُـدامـةٌ،
تَـرَى حَـبَـبـاً مـن فَـوْقـهـا حـيـنَ تُـمـزَجُ[٢]
ألا إنّـهـا نِـعْـمَ الـدَّوَاءُ لِـشَـارِبٍ،
ألا فَـاسْـقـنـيـهـا قَـبْـلَ مـا أنْـتَ تَـخْـرُجُ[٣]
فـنُـضْـحـي سُـكـارَى وَالـمُـدامُ مُـصَـفَّـفٌ
يُـدارُ عَـلَـيْـنـا وَالـطّـعَـامُ الـمُـطَـبْـهَـجُ[٤]
وَمَـا رَاعَـنـي يَـوْمَ الـطِّـعـانِ زُهُـوقُـهُ
إلـيّ بـمَـنْ بـالـزّعْـفَـرَانِ تَـضَـرّجـوا[٥]
فَـأقْـبَـلَ مُـنْـقَـضّـاً عَـلَـيّ بـخَـلْـقِـهِ،
يُـقَـرّبُ أحْـيـانـاً وَحـيـنـاً يُـهَـمْـلِـجُ[٦]

---

(١)، (٢) ينوّه الشاعر بصحبه؛ فهم صادقو الصحبة، يشاركونه الغارة وقد امتطوا الخيل المسرّجة، كما يشاركونه أيضاً شرب الخندريس، تلك الخمرة المعتّقة، حيث يعلو تلك المُدامة زبد لطيف في حال مزجها بالماء ليسوغ شربها.

(٣) إن الخمرة أفضل دواء لجلاء الهموم لمن يتعاطاها، لذا يطلب الشاعر من السّاقي أن يُسارع بالإتيان بها قبل مغادرته.

(٤) الطعام المطبهج: اللحم المقلي. وفي حال دارت تلك الخمرة على الشّرْب يُضحون سكارى وهم يلتهمون اللحم مقلياً.

(٥) الجوّ جوّ انشراح ومسرّة وفجأة غارة يتقدّمهم سيّدهم وقد تطيّبوا بطيب الزعفران.

(٦) بخلقه: يقصد بجيشه خلفه. يُقرّب: يعدو عدْوَ الثعلب، وذلك بأن يرفع يديه كليهما ويضعهما معاً، يُهملج: يسير مسرعاً، يصف الشاعر انقضاض سيد القوم وهم يتبعونه خلفه مسرعين يعدون عَدْو الثعالب.

فَلَمّا دَنَا مِني قَطَعْتُ وَتِينَهُ
بِحَدّ حُسَامٍ صَارِمٍ يَتَبَلَّجُ[١]
كَأنّ دِمَاءَ الفُرْسِ حِينَ تَحَدّرَتْ
خَلُوقُ العَذَارَى أوْ قُبَاء مُدَبَّجُ[٢]
فَوَيْلٌ لِكِسْرَى إن حَلَلْتُ بِأرْضِهِ
وَوَيلٌ لِجيشِ الفُرْسِ حِينَ أُعَجْعِجُ[٣]
وَأحْمِلُ فِيهِمْ حَمْلَةً عَنْتَرِيّةً
أرُدُّ بِهَا الأبطَالَ فِي القَفرِ تَنبجُ[٤]
وَأصْدِمُ كَبْشَ القَوْمِ ثمّ أُذِيقُهُ
مَرَارَةَ كأسِ المَوْتِ صَبراً يُمجَّجُ[٥]

---

(١) الوتين: عرق في القلب، إذا انقطع مات صاحبه. يتبلّج: يُضيء مشعّاً. ما إن اقترب سيد القوم حتى عاجله عنترة بضربة سيف يشعّ نوراً فإذا بالسيف يقطع وتين السيد فيخرّ صريعاً.

(٢) الخلوق: الطيب. القُباء: ضرب من الأثواب المخطّطة. لقد سالت دماء الفرس فاختلطت بالأرض فبدت الأرض كأنها طيب تطيّبت به العذارى أو كأنها ثوب مزركش بألوان عديدة.

(٣) أعجعج: أصرخ بهم. يدعو الشاعر على الفرس بالويل والثبور في حال نزل عنترة ببلادهم، والويل لجيش الفرس حين يزمجر عنترة غاضباً مرعباً لجيش كسرى من ضرباته.

(٤) تنبج: تتصاعد أصواتها رعباً وفزعاً، ينزل عليهم نزول الصاعقة فجأة من عيار ما اعتاد عليه فيجعل الأبطال تتبعثر وتتشتّت مولولة في القفر، وأصواتهم تعلو.

(٥) كبش القوم: مقدّمهم وسيّدهم. الصبر: عصارة شجر مرّ. يُمجّج: يُتفل لعدم احتمال ابتلاعه. يسارع عنترة إلى مهاجمة قائد القوم ويبادره بطعنات قاتلة تُودي به ليشرب كأساً مترعة مرارة لا يقدر على تجرّعها، فيلفظ معها أنفاسه.

وَآخُـذُ ثـأرَ الـنّـدْبِ سَـيّـدِ قَـوْمِـهِ
وَأُضْـرِمُـهـا فـي الـحَـرْبِ نـاراً تُـؤَجَّـجُ(١)
وَإنـي لـحَـمّـالٌ لِـكُـلّ مُـلِـمّـةٍ،
تَـخِـرُّ لـهـا شُـمُّ الـجِـبَـالِ وَتُـزْعَـجُ(٢)
وَإنـي لأحْـمـي الـجـارَ مِـنْ كـلّ ذِلّـةٍ
وَأفْـرَحُ بـالـضّـيْـفِ الـمُـقـيـمِ وَأَبْـهَـجُ(٣)
وَأحْـمـي حِـمـى قـوْمـي عـلـى طـولِ مُـدّتـي
إلـى أنْ يَـرَوْنـي فـي الـلـفـائِـفِ أُدْرَجُ(٤)
فَـدُونَـكُـمُ يـا آلَ عَـبْـسٍ قـصـيـدَةً
يَـلُـوحُ لـهـا ضَـوْءٌ مـنَ الـصُّـبـحِ أبـلَـجُ(٥)
ألا إنّـهـا خَـيْـرُ الـقَـصَـائِـدِ كُـلّـهـا،
يُـفَـصَّـلُ مـنـهـا كُـلُّ ثَـوْبٍ وَيُـنْـسَـجُ(٦)

(١) الندب: المندوب في الملمات من قبل قومه للقيام بها. تُؤجّج: تلتهب. لا يقتل عنترة حبًّا بالقتل، ولكن ثمَّة أسباب جديرة بالاعتبار؛ منها الثأر لمن قُتِل، وهو من يُعتمد عليه في المهام الصعبة التي لا يُفلح غيره بالقيام بها؛ لذا فإنه يضرم حرباً على القتلة، فيحترقون في ضِرامها.

(٢) ملمة: نازلة. شُمّ الجبال: الذرى المرتفعة. يفخر الشاعر بثقته بنفسه فبإمكانه التصدّي للصعب من النكبات والنجاح في الخروج منها منتصراً حتى التي لا يقدر على الفلاح الأقوياء بها؛ فأمام هذه الصعاب تتهاوى الجبال المرتفعة متزلزلة.

(٣) ومن صفات عنترة المحبّبة أنه يحمي جيرانه فلا يذلّون، بل ينزلون في كنفه معزّزين مكرّمين، وأنه يُقري الضيوف، فيقيمون لديه مرفّهين ينعمون بكرمه وهو مسرور بما يُقدّمه لهم.

(٤) اللفائف: الأكفان. أدرج: أكفّن. ومن صفاته أيضاً أنه يحمي عشيرته، فهو طالما أنه حيّ فهم أحياء بحياته، حتى اليوم الأخير من عمره.

(٥)، (٦) يخاطب الشاعر بني قومه أنه يقدم لهم قصيدة فيها عزّهم وفخارهم =